

التنقيب عن الآثار الآشورية في مدينة نينوى

بين البحث الأثري والتنافس المصلي

Archaeological Excavations of Assyrian Monuments in the City of Nineveh Between Archaeological Research and Competition

بعيطيش عبد الحميد¹، (جامعة باتنة 1) massil6@yahoo.fr

10-02-2020	تاريخ القبول	03-09-2019	تاريخ الاستلام
------------	--------------	------------	----------------

ملخص.

كشفت أعمال التنقيب التي جريت في مدينة نينوى عن لقى أثرية موهلة في القدم من عصور ما قبل التاريخ (حوالي 7000 ق.م) ولكن الملك سنحاريب (Sanherib) (704-681 ق.م) هو أول من اعتزم أن يتخذ من نينوى مركزا للإمبراطورية الآشورية، حيث تمدنا نقوش الملك العديدة بأخبار مفصلة عن بنائها بآلاف من الأسرى وأيضا عن الأشغال الكثيرة الخاصة بالتحصينات الدفاعية وتخطيط المدن وموارد المياه والزراعة وغيرها من أساليب الحياة اليومية. وقد عرفت المنطقة أعمال تنقيب كثيرة تميزت بمنافسة شديدة بين الأثريين، خصوصا بين الأثريين الفرنسيين والانجليز، فقد دخلت المنطقة في ميدان البحث الأثري رسميا في الفترة 1845-1851م واستمرت تدريجيا وكانت أشهرها من حيث النتائج البحثية تلك التي أجريت في الفترة 1904-1914م وتلتها حفرة 1929-1932م وحفيرة 1951-1958م، ثم في الفترة 1967-1971م وأخيرا سنتي 1989-1990م ونتج عنه اكتشاف أثرية جد هامة،

الكلمات المفتاحية: نينوى : التنقيبات الأثرية : الموصل : الامبراطورية الآشورية : قوينجق

Abstract

Archaeological excavations have uncovered objects that are deeply rooted in the history of the city of Nineveh –around the 7th millennium BC. This has shown the importance of the city of Nineveh from dawn of history. Many inscriptions have been found, which describe the many works on the city's defensive fortresses, urban planning, water resources, agriculture and other everyday lifestyles. The excavation works in the city began officially in the period 1845-1851 and then continued gradually. The most famous archaeological excavations, in terms of scientific findings, were carried out in the period 1904-1914, followed by the excavations of 1929-1932, as well as those of 1951-1958, 1967-1971 and finally 1989-1990, which resulted in a very important discovery. In this paper, we demonstrated the most important archaeological excavations in Nineveh sites and the results obtained.

Keywords: Nineveh; Archaeological excavations; Musil; Assyrian empire; Kouyunjik

مقدمة:

سكنت نينوى منذ أقدم العصور وقد دلت التنقيبات الأثرية إلى أن تاريخها يعود إلى 7000 ق.م (عصر حسونة)، واستمر السكن فيها في عصور فجر السلاطات وأصبحت تابعة إلى الدولة الأكديّة ثم لسلالة أور الثالثة ثم لسلالة بابل في زمن ملكها السادس حمورابي، ونالت مركزها المرموق منذ سنة 1080 ق.م عندما اتخذها الملك الآشوري تجلات بليرز الأول (1112-1074 ق.م) عاصمة للدولة الآشورية، وكانت مركزاً مهماً زمن كل من الملك سنحارب وأسرحدون وأشور بانيبال (704-626 ق.م)، إلى جانب مدن عواصم هي الأخرى للدولة الآشورية تقع في محافظة نينوى وهي نمرود (Nimroud) وخورسباد (Khorsabad)، فيما تقع المدينة الرابعة آشور ضمن حدود محافظة صلاح الدين، واستمرت نينوى عاصمة للآشوريين وتوسعت وأقيمت حولها القلاع والمنشآت إلى غاية تدميرها سنة 612 ق.م، وأصبحت تابعة للحكم البابلي الجديد. وقد كشفت التنقيبات الأثرية التي أجريت بالمنطقة عن العديد من هذه الآثار، وهي مكونة من مباني ضخمة لقصور وعمارة متنوعة ومزخرفة بأشكال عديدة من الفن الآشوري، فضلاً عن التماثيل والرقم الطينية التي نقلت أغلبها إلى المتاحف الغربية في أعقاب الكشوفات الأولى لغرض دراستها أو الاحتفاظ بها.

مدينة نينوى الأثرية-الموقع والتاريخ:

تقع مدينة نينوى أشهر المدن الآشورية بالموصل على بعد 410 كلم شمال بغداد، ومن شرقها مسرى نهر دجلة، وهي العاصمة الرابعة والأخيرة للإمبراطورية الآشورية، وتحتل مساحة شبه مستطيلة تقدر بـ 7000 دونم (تستعمل هذه الوحدة في العراق لتعبر عن مساحة تقدر بـ 2500 متر مربع)، ويمر بها نهر الخوصر الذي يقسمها إلى جزئين، وتضم المدينة تلين أثريين هما تل قوينجق (Kouyunjik) المتواجد في الجزء الشمالي الغربي ويحوي القصور الملكية والمعابد، وتل النبي يونس أو تل التوبة في الجنوب الشرقي وهي ربوة صغيرة، لكن التل الكبير قوينجق يبلغ ارتفاعه 90 قدماً (28 متراً). (الموسوعة الأثرية العالمية . 1997: 404).

تاريخ التنقيبات الأثرية في نينوى:

أثار اكتشاف آثار حضارات العراق اهتمام العلماء في كل أرجاء العالم، وأخذوا يدرسونها ويحاولون حل طلاسم نصوصها المكتوبة بالمسمارية، وبعد أن توصلوا إلى قراءة المسمارية وفهم اللغة الأكديّة (الأشورية البابليّة)، وبدأوا ينشرون النصوص التي عثر عليها المنقبون، فنشأ علم جديد سمي بعلم الأشوريات وبدأ يدرس في الجامعات ولكن هذا لم يكن إلا في الغرب وبلغات أوروبية.

نتذكر المصادر أن منطقة نينوى شهدت رحلات وكشوفات لمغامرين ورحالة من أجل التعرف عليها، منهم الرحالة الأسباني بنيامين التطيلي (Benjamin De Tudela) وهو كاهن يهودي وصل إلى سهل نينوى في القرن الحادي عشر الميلادي وزار مدينة الموصل، كما زار منطقة سهل نينوى كل من الرحالة الألماني راؤولف ليونهارد (Rauwolff Leonhard) عام 1574م، (Magnus T. Bernhardsson. 36,37: 2005) والسير أنتوني شيرلي (Sir Anthony Shirley 1565-1635م) في أوائل القرن السابع عشر، والرحالة الإيطالي بييترو دي لافال (Pietro Della Valle) عام 1625م، الذي اكتشف كتابة غريبة لم يشهدها من قبل وهي "الكتابة المسمارية"، فضلا عن الفرنسي جون باتيست تافرنيه (Jean-Baptiste Tavernier) (1605-1689م).

إن معظم هؤلاء دونوا ملاحظاتهم ومذكراتهم وقصص زياراتهم، لكن أهم التقارير التي كتبت عن المنطقة هي تلك التي دونها الدانماركي كارستن نيبور (Carsten Niebuhr) الذي زار كرمليس في 17 آذار/ مارس 1766م ورسم حرفيا نماذجاً من الكتابات المسمارية (حنونا. 1995)، حيث تعتبر تقاريره عن بلاد ما بين النهرين وبالأخص منطقة سهل نينوى في الأعوام (1774-1778م) أثارت انتباه الباحثين في أوروبا وخاصة الباحث الألماني جورج كروتفند (Georg Grotefend) (1775-1853م) والأنكليزي هنري كروزويك رولينسون (Henry G. Rawlinson) (1810-1895م) الذي يعود له الفضل في فك وحل رموز الكتابة المسمارية سنة 1850م. (Layard. 1854:6)

كما كانت شركة الهند الشرقية البريطانية تحتفظ لنفسها بمقيم دائم لها في البصرة سنة 1798م، وقد عينت أول مقيم لها في بغداد سنة 1807م، وكان شابا يبلغ

من العمر 21 سنة ويدعى كلوديوس جيمس ريج (Claudius James Rich) والذي سنتطرق إلى أهم اكتشافاته لاحقاً. (نخبة من الباحثين، حضارة العراق، 1985، ج1: 60)

اجتذبت حضارات العراق القديمة منذ النصف الأول من القرن التاسع عشر العديد من الأثريين والمنقبين، أين تسابق الانجليز والفرنسيون بالخصوص في البحث والكشف عن هذه الآثار، ونلمح ذلك في الصراع القائم بين الانكليزي أوستن هنري لايارد (Layard Austen Henry) والفرنسي بول ايميل بوتا (Paul- Emile Botta) والذي انتقل إلى محاكم الموصل في سنة 1847م حول تحديد المنطقة التي يجب أن يعمل كل منهما فيها.

إذا تطرقنا إلى البدايات الأولى للتنقيبات الأثرية في العراق فإنها تعود إلى منتصف القرن التاسع عشر وتحديدًا بين الأعوام 1842م و1843م، حيث بدأت التنقيبات في أهم المدن الآشورية المتميزة في شمال العراق ثم في جنوبه؛ فكان المنقب الفرنسي "ايميل بوتا" منقبا رسميا في موقع (Khorsabad) بين عامي 1843م و1847م في شمال العراق، بينما كان المنقب الانكليزي أوستن هنري لايارد ينقب في قصر سنحارب، واكتشف عدة آثار عام 1845م أغلبها تم نقلها إلى المتحف البريطاني (Layard, 1854: 6)، وخلفه جورج سميث (Smith George) وهنري رولنسن (Rawlinson Henry) الذي ساعده المنقب العراقي هرمز رسام (Hormuzd Rassam)، وقد كشفت التنقيبات عن معالم الحضارة الآشورية وخصوصا في عهد أسرحدون وأشوربانيبال.

ومع نهاية القرن التاسع عشر ومع بداية القرن العشرين بدأت البعثة الألمانية في آشور بين عامي 1904م و1914م وشملت التنقيبات عدة مواقع في نينوى، ثم تبعتها بعثات أخرى عام 1927م تحت إشراف كامبال تومسون (Campbell Thompson) في موقع النبي يونس (Nebi Yunus)، فبعد عمله القصير في أور وأريدو تحول كامبل تومبسون في سنة 1927م للعمل في بقايا قوينجق (Kouyunjik) في نينوى، والتحق به سنة 1931م ماكس مالوان (Sir Max Edgar Lucien Mallowan) (1904-1978م) والذي كان أحد معاوني ليونارد وولي (Leonard Woolley) في أور، وكان الغرض من استئناف العمل في قوينجق الكشف عن المزيد من التفاصيل في بقايا المباني الآشورية التي أغفلها كلا من لايارد وبوتا في حفرياتهم السريعة الأولى بحثاً

عن المنحوتات، كما قام مالوان بإجراء حفر عمودي، حيث نزل إلى عمق 27 مترا واكتشف عن آثار وفخار ما قبل التاريخ تعود إلى مراحل حسونة وسامراء وحلف، وهذا في الطبقات السفلى الأولى والثانية، وأثارا أخرى تعود إلى عصر الوركاء في الطبقتين الثالثة والرابعة. (نخبة من الباحثين، حضارة العراق. 1985. ج1: 69).

كما تمكنت البعثات الأثرية المتتالية من فرنسا وبريطانيا وألمانيا والولايات المتحدة وإيطاليا من العثور على حوالي نصف مليون قطعة أثرية، توزعت على متاحف بغداد ولندن وبرلين وباريس واسطنبول ولينينغراد وفيلادلفيا وجامعة وييل، إلى جانب مئات الآلاف من القطع التي ظلت بمواقعها الأصلية، كل هذا جرت تقريبا قبل اتفاقية عام 1954م العالمية التي تقضي بحماية المواقع الأثرية التي لم تستخرج بعد في التلال القديمة خلال الصراعات المسلحة.

ودخلت مديرية الآثار العراقية العامة في مجال الأبحاث والتنقيبات الأثرية عام 1936م واستمرت في التنقيبات إلى يومنا هذا إما مشتركة مع بعثات أجنبية أو مستقلة، وأهم هذه البعثات نذكر على سبيل المثال بعثة محمد علي مصطفى بين 1951م و1958م، وبعثة طارق مظلوم بين 1967م و1971م، وبعثة منهل جبار عام 1987م.

كما توالى تنقيبات أخرى منها التنقيبات الأثرية التي قامت بها البعثة الأمريكية من جامعة بنسلفانيا، وكشفت عن ألوف من الكتابات المسمارية بين عامي 1989م و1990م، واستمرت التنقيبات بعد هذا التاريخ بشكل متذبذب و بنتائج ضعيفة.

بعض من نتائج الأعمال التنقيبية في مواقع نينوى:

كما أسلفنا فإن المنطقة قد عرفت أعمالا تنقيبية كثيرة متتالية ابتدأت رسميا في الفترة 1845-1851م واكتشف أثناءها قصر الملك سنحاريب الذي عاش في (حوالي 700 ق.م)، كما عثر فيها على رسوم منحوتة على الحجر، واستمر البحث في الفترة 1929-1932م ونتج عنه اكتشاف موقع قصر آشور ناصر بال الثاني. (Ealy. 1991:10)

إن من بين البعثات الأثرية الأولى والهامة من أجل التنقيب عن آثار بلاد الرافدين تلك التي أوكلت إلى الإنجليزي كلوديوس جيمس ريج (Claudius James Rich) - بناء على توصية من المقيم البريطاني في بومباي - للتوجه إلى العراق للبحث عن

آثارها، وكان ريج يتقن اللغات العربية الفارسية والتركية، قام ريج ببعض الحفريات في بابل وأشور وقد استغرقت استكشافاته في مدينة بابل 6 سنوات (1812-1818م)، ومن ثم غادرها مارا ببغداد وأربيل حتى بلغ الموصل التي وصلها عام 1820م، وقضى ردحا من الزمن في منطقة سهل نينوى يتحرى عن آثارها ويحدد مواقعها، واستطاع الحصول على بعض قطع النحت من الممرر وعدد من الطابوق المدون بالخط المسماري، وأرسلت هذه الآثار واللقى إلى المتحف البريطاني وقد دون ملاحظات مهمة عن المواقع الآشورية التي لا زالت فيها الآثار شاخصة، وخلص ريج في استطلاعاته بأن أهم المواقع الأثرية في شمال العراق هي: تل قوينجق نينوى، تل النبي يونس، قلعة أربيل، قلعة شرقاقل-أشور، وتل كرملي، إلا أنه فاتته أن يذكر المواقع المهمة الأخرى مثل تل نمرود، وخورساباد وبلاوات وغيرها من التلال الأثرية. (نخبة من الباحثين، حضارة العراق، 1985، ج1: 60)

الجدير بالذكر أن كلوديوس جيمس ريج زار أيضا كرمليس في 30 تشرين الأول/ أكتوبر عام 1820م، وبعد أن أتم استطلاعاته رحل إلى شيراز التي كانت موبوءة بمرض الكوليرا، إذ أصيب هو الآخر بهذا المرض وتوفي هناك عام 1824م، وقد آلت تقارير ريج بعد وفاته إلى المتحف البريطاني التي أصبحت فيما بعد أهم مصدر وثائقي للمستكشفين والآثاريين، إلا أن التنقيبات الأثرية بدأت بنحو عشرين عاما بعد وفاة كلوديوس جيمس ريج. (Rich C.J. 1837: 298)

فبعد سنوات عدة وبالضبط في كانون الأول/ ديسمبر 1842م قام القنصل الفرنسي في الموصل إميل بوتا (Emile Botta)، الذي كان يتقن العربية وخبيرا في شؤون الشرق بأولى حفرياته في تل قوينجق - أكبر تلال نينوى - (Botta. 1850: 13) إلا أنه لم يتوصل إلى نتائج مهمة، فانتقل إلى خورساباد في آذار/ مارس عام 1842م، وهناك عثر على لوحات رخامية ضخمة ذات نقوش بارزة وتماثيل للثيران المجنحة؛ لم يدرك بوتا آنذاك بأنه قد اكتشف مدينة سرجون الثاني (721-705 ق.م) (دور شاروكين) (Dur-Sharrukin)، وقد كتب إلى الجمعية الآسيوية في باريس في 5 نيسان/ أبريل سنة 1843م قائلا: "اعتقد بأنني أول من اكتشف منحوتات يمكن اعتبارها من العصر الذي ازدهرت فيه نينوى"، (Botta. 1850: 13) وبهذا ازداد دعم الجمعية الآسيوية لبوتا للاستمرار في عمله في خورساباد ونينوى، كما زودته برسام قدير يدعى فلاندين

(Flandin Eugène) ليساعده في توثيق ورسم مكتشفاته، جمع بوتّا تلك المقتنيات الأثرية وشحنها في أفلاك حربية إلى فرنسا عن طريق نهر دجلة وميناء البصرة في تشرين الأول / أكتوبر 1844م وصلت إلى متحف اللوفر سنة 1946م. (نخبة من الباحثين، حضارة العراق. 1985. ج1: 62)

منذ أن اكتشف بول إميل بوتّا قصر الملك الأشوري سرجون الثاني في قرية خورسباد قرب الموصل في عام 1943م أصبحت التنقيبات الأثرية حكراً على الغربيين، فتتابعت حفريات البعثات والجامعات في ولايات بغداد والبصرة والموصل التابعة للدولة العثمانية حتى الحرب العالمية الأولى؛ وكان يكفي للقيام بالتنقيبات أن يحصل سفير أو قنصل غربي على "فرمان" من الباب العالي، وكان المنقبون يتقاسمون الآثار التي يعثرون عليها مع باشا الولاية، وهذا ما يفسر الكميات الهائلة من القطع الأثرية العراقية التي ما زالت تحتفظ بها متاحف العالم، فقد أرسل المنقبون الغربيون نصيبهم من القطع الأثرية إلى بلدانهم ودخلت في متاحفها، مثل متحف اللوفر في باريس أو المتحف البريطاني في لندن أو متحف برلين ... الخ.

إن النجاح الذي حققه القنصل الفرنسي إميل بوتّا في تنقيباته قد أثار غيرة واهتمام هنري كريزويك رولنسون (Sir Henry Rawlinson) المقيم البريطاني في بغداد، مما حدا به أن يحث الحكومة البريطانية بإرسال بعثة للتنقيبات الأثرية، فكلفت الحكومة البريطانية هنري أوستن لايارد (Henry Austin Layard) للقيام بالتنقيبات لما يملكه من دراية تامة بالمواقع الأثرية، بالإضافة إلى إتقانه العربية وقليلاً من الفارسية والتركية والآرامية، لأنه سبق له أن قام ببعثة استطلاعية في الموصل عام 1840م استغرقت خمسة أشهر؛ فبعد أن وصلت أنباء اكتشافات بوتّا شعر بالإحباط، فقد كانت لديه طموح بالكشف عن التلال الآشورية العظيمة، وكتب إليه بوتّا الذي سمح لصديقه لايارد بالاطلاع على رسائله ورسومه، وهي تمر عبر العاصمة العثمانية يحثه على القدوم إلى بلاد ما بين النهرين، بعد هذا حصل في خريف 1845م على منحة مالية من ستراتفورد لإجراء مسح أثري أولي في تل النمرود واستطاع إرسال رجال آخرين للاشتراك في التنقيب. (Layard. 1854: 50)

وصل هنري لايارد الموصل لهذا الغرض في 27 تشرين الثاني / نوفمبر 1845م، وفي أول مهمة له أن اتفق مع صديقه هنري جيمس روس (Henry James Ross)

التاجر البريطاني المقيم في الموصل، وهرمز رسام الكلداني (Hermizd Rassam) شقيق كريستيان رسام القنصل البريطاني في الموصل للذهاب إلى تل نمرود لأجراء الكشف الأولي، وفي طريقهم استأجروا عمالا من كرمليس وباخديدا، وبدأت الحفريات في 9 تشرين الثاني/ نوفمبر 1845م وتمكن من تحقيق نجاح سريع في هذا المضمار، إذ عثر في 19 من نفس الشهر في القصر الجنوبي الغربي على ألواح نحتت عليها مشاهد معارك. (Layard. 1854: 11)

ونعرف اليوم أن تلك الألواح كانت قد نحتت في عهد آشور ناصر بال الثاني (883-859 ق.م)، ونقلت في وقت لاحق من القصر الشمالي الغربي ليعاد استعمالها في قصر جديد شيده أسرحدون (681-669 ق.م)، كما عثر على تماثيلين للثور المجنح وكان لهذا الإنجاز الكبير صدق عظيم وضجة كبرى في الأوساط العلمية الأوروبية، إذ أن الثيران المجنحة التي عثر عليها أميل بوتا في خورساباد وشحنها بواسطة السفن قد تأخرت ولم تصل فرنسا إلا بعد حين (من 1844 إلى 1846م) (Layard. 1854: 12)

وأشار لايارد في مذكراته بأن تاريخ تلك الآثار تعود إلى 25 قرنا، حيث يعود تاريخ تماثيل الثور المجنح للعهد الأشوري ما بين (1500 ق.م إلى 600 ق.م)، لقد كانت اغلب التماثيل من نوع الثور المجنح موضوعة في بوابات القصور والبعض الآخر كانت مدفونة كما هو الحال في موقع نينوى. (Layard. 1854: 13)

لقد تم نقل التماثيل الكبيرة من مواقع نحتها إلى المراكز التي تم تنصيبها في مراكز وقصور ملوك الإمبراطورية الأشورية، استخدم فرق من العمال لسحب التماثيل مستخدمين الحبال والأوتاد الخشبية، أما التماثيل الكبيرة فقد تم نقلها بطريقة بطيئة من خلال سحبها مستخدمين الحبال والعتلات وتحريكها فوق الأوتاد والصخور الخاصة لتلك الأغراض، أما التماثيل الصغيرة الحجم فقد تم نقلها بواسطة الأنهار من موقع إلى آخر. (Layard. 1854: 14)

تختلف حجم التماثيل الصخرية واغلبها من نفس النوع (الثور المجنح) ومن نفس المصدر الصخري (التكوين الصخري)، التي تظهر على سطح الأرض في جبل مقلوب ومرتفعات الجبل المطل على قرية (ناوران) وهي اقرب موقع صخري من موقع خرسباد التي لا يبعد عنها إلا بعدة كيلومترات و قريبة من مدينة نينوى، كما يعتقد الباحثون

بأنه تم نقل البعض منها بواسطة الأنهار من موقع رسم تلك التماثيل إلى الموقع الأثري، مثل موقع نمرود التي تبعد عن المناطق الجبلية، تبدوا من الرسوم المنقوشة على تلك الآثار بأنه تم استخدام أدوات وأنظمة وقواعد هندسية متطورة في عمليات النحت والتصميم والنقل. (Layard. 1854: 14)

أجرى لايارد تنقيبات في (قلعة شرقاط آشور) و(قوينجق)، وتضمنت شروط المنحة الحكومية البريطانية نقل المنحوتات إلى بريطانيا (Layard. 1854: 140)، لذا فقد تم إرسال في أثناء العمل ثلاث شحنات من أفضل المنحوتات من نمرود عبر نهر دجلة بالطواف لشحنها إلى انكلترا من البصرة، وفي أيار/ ماي 1847م صمم لايارد على بذل محاولة لشحن أحد الثيران المجنحة الضخمة، فقد أرسل بوتاً بعض الثيران المجنحة إلى باريس من قبل وإن كان قد نشرها لتسهيل نقلها، ورغم أن وزن تمثال ثور نمرود الذي اختاره لايارد زاد على 10 أطنان إلا أنه أفلح في سحب أحد الثيران المجنحة من قصر آشور ناصربال إلى نهر دجلة، ووضعها مع تمثال أسد على طواف صنعها لهذا الغرض صناع جيء بهم من بغداد، وعاد لايارد إلى لندن بعد ذلك بفترة قصيرة عن طريق إيطاليا وباريس، وقوبلت نتائج تنقيباته بإطراء شديد، وأكمل في فترة قصيرة كتابه "نينوى وآثارها" (The monuments of Nineveh) الذي حقق له انتصاراً شعبياً استحققه، إذ أنه إضافة إلى إظهاره اتقاناً علمياً للخلفية التاريخية، فقد وصف مشاكل التنقيب ورحلاته بأسلوب واضح ممتع يؤكد نوعية انجازه في تنفيذ رغبات الحكومة البريطانية في تلك الزاوية من الشرق الأدنى، وبعد صدور الكتاب وعرض المنحوتات والآثار الأخرى في لندن أصبح واضحاً أن الرأي العام يطالب بإجراء تنقيبات أخرى. (Layard. 1853 : 61)

وفي عام 1849م أفلح لايارد في تحديد مواقع ألواح منحوتة في تل قوينجق وهو تل القصر الرئيسي في نينوى، ومن أبرز ما عثر عليه لايارد (مكتبة آشور بانيبال) التي تقع إلى الشمال الشرقي من التل، وهي مكتبة تحوي مجاميع ضخمة من الرقم الطينية المكتوبة بالخط المسماري مدون عليه مختلف الفنون والعلوم، حيث تحوي زهاء 30 ألف رقيم طيني، فضلاً عن ألواح منحوتة بالنحت البارز، وقد نقلت هذه الألواح جميعاً إلى المتحف البريطاني، وكان لاكتشاف هذه المكتبة، دور كبير في فك رموز الكتابة المسمارية، وفي الكشف عن الغرف الواحدة بعد الأخرى في القصر الجديد الذي شيده

سنحاريب الذي يقع في القسم الجنوبي من التل، وقد شيدت جدرانه من اللبن وغلفت بالمرمر وحجر الحلان. (Layard . 1867 : 399)

وعندما غادر هنري لايارد العراق نهائياً عام 1851م أوكّل مهمة التنقيب إلى صديقه (هرمز رسام) إذ كلف بالمهمة ذاتها بإسناد من المتحف البريطاني، فأبدع في مهمته وعثر على العديد من الكتابات والمخطوطات القديمة التي سجلت ثقافة وعلوم وعقائد الشعوب القديمة في (بيت نهرين) (Layard. 1854: 77-78)، كما تمكن هرمز رسام بين عامي 1849-1851م من اكتشافات في تل كوينجق على 71 قاعة ومرفق، و27 بوابة مزينة بالثيران المجنحة، كما عثر في قاعتين منه على خزانة للكتب أسسها الملك آشور بانيبال الذي اتخذ هذا القصر مقراً له في بداية حكمه، ضمت هذه الخزانة آلاف الرقم الطينية التي تحمل مختلف فنون المعرفة، ونقلت أغلبها إلى المتحف البريطاني. (Jeanette C. Fincke, 2003: 14-15).

كان ثمة فرق آخر بين كوينجق وموقعي نمرود وخورسباد، فقد توقف الاستيطان في كوينجق بسقوط الإمبراطورية الآشورية، وكانت النقوش البارزة مدفونة تحت تراكم سميك لاحق، وكانت نتيجة ذلك أن تراكم التراب على الخرائب أصبح هائلاً تجاوز غالباً ثلاثين قدماً (أكثر من 9 أمتار) بحيث أن العمال بدأوا بحفر أنفاق بجوار الأسوار، وأنزلوا أعمدة إسناد أحياناً لتمكين الضوء والهواء من الدخول، كانت الممرات تحت سطح الأرض ضيقة ودعمت عند الضرورة، إما بترك أعمدة من التراب كما في المناجم، أو باستعمال دعائم خشبية، وقد كانت تحف بهذه الدهاليز الطويلة المعتمدة بقايا من الفن القديم، ومنها جرار مكسورة تبرز من الجوانب المتهدمة، لم يكن ذلك إجراءً أثرياً مقبولاً، ولكن يبدو أن لايارد اضطر إليه بسبب قلة المال لديه، وكانت إحدى نتائج طريقة الحفر هذا ما ذكره هرمز رسام عام 1854م. (Russell. 1995. Vol 57: 71-85).

إضافة إلى هذا فقد عثر على عدة آثار ثمينة نذكر منها: تمثال عشتار وهي امرأة عارية على مقربة من معبدها في نينوى، والمسلة البيضاء في تل كوينجق كما تم التعرف على اسم آشور ناصر بال في هذه المسلة بين عامي 1852-1853م، كما قام رسام بأعمال تنقيب أخرى عام 1853م في تلة على ضفاف نهر دجلة قرب مقر سكناه، وكان هو وأعوانه يعملون أثناء الليل خفية خوفاً من البعثة الفرنسية التي كان لها حق التنقيب في هذا الموقع؛ كان يأمل أن يعثر على آثار الإمبراطورية الآشورية التي كانت

تسيطر على المنطقة، وكان انبهاره لا يوصف عندما أظهرت أعمال التنقيب على ردهة واسعة تزين جدرانها زخارف وصور لصيد الأسود، والردهة مليئة بألواح طينية صغيرة محفور عليها كتابة بالخط المسماري، كانت هذه الردهة هي مكتبة القصر في نينوى عاصمة الإمبراطورية الآشورية القديمة، شيديها بين عام 668 ق.م و627 ق.م الملك آشور بانيبال أقوى حكام الآشوريين ؛ حوت هذه المكتبة مجموعة من أغنى المخلفات الثقافية التي عثر عليها حتى ذلك التاريخ، كان هناك ما يزيد عن 25000 رقيم طيني مكتوبة باللغة الأكديّة والبابليّة والآشورية القديمة وضعت على جوانبها التيران المجنحة، وهذه شكلت أغنى آثار العالم، ومن هذه الرقم الطينية عثر على لوح دونت فيه (قصة الطوفان) و(ملحمة كلكامش). (Jeanette C. Fincke 2003: 14-15)

يحيط بالتلال (تل التوبة وتل قوينجق) سور مدعم بأبراج مكعبة الشكل مشيدة من حجر الحلان المهندم، ويبلغ طوله 12 كلم، ويضم الصور 15 بوابة موزعة على أضلاعه الأربعة، تم اكتشاف ستة من تلك البوابات فضلا عن قصر سنحارب ومكتبة اشور بانيبال وقصر اسرحدون المتواجد إلى الأسفل من جامع النبي يونس. (شحيلات ، والحمداني. 1971 : 379)، وقد حدد الملك سنحاريب أسماء ومواقع هذه الأبواب، فالقسم الشرقي من السور يضم كما ذكرنا ستة أبواب، أولاها (باب خليزي) ويعد من أبواب المدينة الكبرى، وثانيها (باب شمش) وتنسب إلى الإله الآشوري شمش، والباب الثالث (باب انليل) وتنسب إلى الإله انليل، والرابع هو (باب مشلال) والخامس يعرف باسم (شبانيبا) نسبة إلى مدينة شبانيبا والتي تعرف أطلالها اليوم بتل بلا قرب بعشيقه، أما الباب السادس فهو (باب خلاخي).

أما السور الشمالي الذي يبلغ طوله كيلومترين تقريبا فيضم ثلاثة أبواب ابتداء من الجهة الشرقية: (1- باب ادد 2- باب نركال 3- باب سن). حيث وفي سنة 1948م تم تأهيل بوابة نركال لتكون بمثابة متحف لموقع نينوى على شكل قاعتين على طرفي الداخل للمدينة تضم عدد من القطع الأصلية والنسخ الجبسية لتمائيل وألواح جدارية فضلا عن نماذج لأبنية آشورية.

أما السور الغربي فطوله حوالي 4,1 كيلومترات، وهو يضم خمسة أبواب ابتداء من الشمال إلى الجنوب وهي: (1- باب ماشكي 2- باب كاري 3- باب مادباري 4- باب ايكال مشارتي 5- باب خندوري) ومازالت جميعها خاضعة للكشف الأثري.

أما السور الجنوبي من أسوار نينوى فطوله 800 متر وتضم بابا واحده هو (باب آشور) كما يذكر ذلك كل من شحيلات والحمداني (1971: 379)، و (مظلوم، وعلي مهدي: 1971)، وقد وضع في مدخل البوابة زوج من الثيران المجنحة التي جلبت من قصر سنحارب، وإلى الخلف من القاعتين وخلال أعمال التنقيب التي جرت سنة 1990م تم الكشف عن قاعة تضم عدد من الألواح الجدارية الناقصة وزوج من الثيران المجنحة مفقودة الأجزاء أيضا.

وتمكن هرمز رسام في عام 1854م من أن يكشف النقاب عن قصر آشور بانيبال في نينوى، وهذا القصر يقع في الجزء الشمالي الشرقي من تل قوينجق، إضافة إلى انه نجح في الكشف عن 15 غرفة مزينة بمنحوتات آشورية بارزة؛ ويعتبر قصر آشور بانيبال ذو شكل مربع تقريبا ويحيط به جدار ضخم بني بالحجر، ويتخلل الجدار شبكة من الأنابيب الفخارية التي استعملت لتصريف المياه. (Olmstead. A.T. 1960 : 497).

وقد عمل آشور بانيبال على إجراء ترميمات في قصر جده سنحارب الذي سكنه في السنوات المبكرة لحكمه، كما ورد في نص آخر عن تجديده لبناء معبد "أي-خرساك-كال-كوركورا" (معبد الإله آشور)، كما جدد آشور بانيبال في السنة 24 من حكمه معبد "أي-ماش-ماش" (معبد الإله انليل) في نينوى. (Thompson .C. 1931 : 29)

وبعد سقوط الدولة العثمانية دخل العراق تحت الانتداب البريطاني، ونظم البريطانيون أمور البلد حسب ما تقتضيه مصالحهم، حيث أنشا الجيش البريطاني في 1918م وظيفة ملحق أثاري مهمته مراقبة أثار البلد وحمايتها وكذلك الإشراف على التنقيبات فيه، وقد اختير كامبل تومسون (Campbell Thompson) 1876-1941م من مخابرات الجيش البريطاني والذي كان يعمل في المتحف البريطاني في لندن قبل الحرب مهمة الإشراف على أثار المنطقة (Thompson .C . 1931 : 29)

ثم استمر البريطانيون في تسيير أمور العراق بصورة غير مباشرة بعد تكوين المملكة العراقية سنة 1921م، وألحق بكل وزير عراقي مستشار بريطاني ينصحه ويشرف على قراراته قبل أن يوافق عليها، وكان ميدان إدارة الآثار مخصصا للبريطانيين ولم يقبلوا أن يشارك العراقيون فيه، وقد استولت سكرتيرة الشؤون الشرقية جيرترود بيل (Gertrude Bell) على إدارة الآثار، وكانت قد عرفت المنطقة قبل الحرب واطلعت

على التنقيبات الأثرية في العراق، وقد عملت مع علماء الآثار بعد أن احتلت هذه الوظيفة وقامت بدورات تفتيشية على عدد من المواقع.

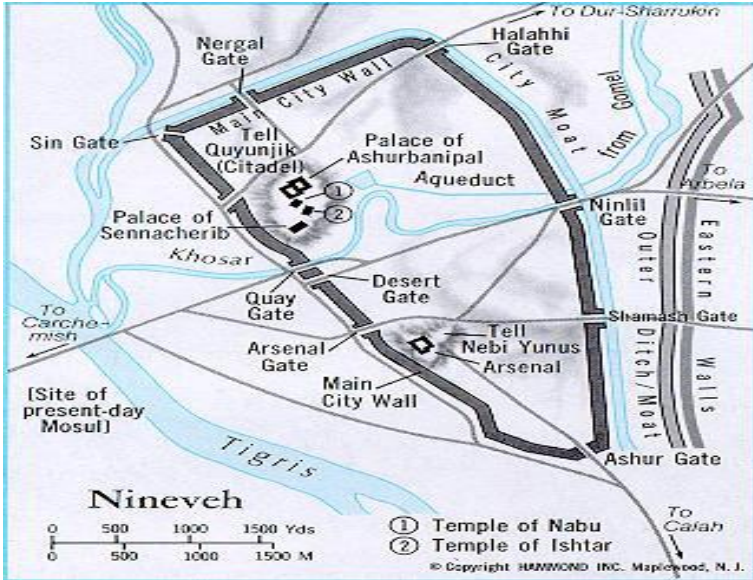
كما سعى عالم المسماريات البريطاني كامبل تومبسون (Campbell Thompson) لترأس بعثة أثرية للتنقيب في منطقة القصور الآشورية المكتشفة في (تل قوينجق)، وكانت الغاية الأساسية من العمل المقترح لهذه البعثة تنحصر بشكل رئيسي في العثور على اللوح المسماري الثاني عشر من (ملحمة جلجامش)، لإكمال سلسلة الملحمة المتكونة من اثني عشر لوحا والتي كانت ضمن محتويات المكتبة الضخمة الشهيرة للملك الآشوري (آشوربانيبال) (Thompson, R. C, 1900) البالغة أكثر من 25000 لوح، تم نقلها أو بالأحرى (سرقته) إلى جانب المنحوتات باستثناء اللوح المذكور. فبعد مطالعته للتقارير القديمة المدونة بخط (لايارد) و(رسام) وتدقيقه لخطة عملهما آنذاك؛ تولدت قناعة لدى (تومبسون) أن ذلك اللوح قد تم رميه بطريق الخطأ مع أنقاض الأتربة الناتجة عن تلك الحفريات بسبب عدم الدقة ومحدودية الخبرة في عمليات الحفر التي كانت بمثابة عمليات نبش ليس إلا، لذلك فأن عمل البعثة يتحدد في البحث بين تلؤل تلك الأنقاض التي أحاطت (تل قوينجق) من جميع الجهات بغية العثور على ذلك اللوح، وتمكن (تومبسون) بصعوبة بالغة من أقناع (مدرسة الآثار البريطانية) بتمويل نفقات هذه البعثة للقيام بهذا العمل الجنوني لموسم تنقيب واحد فقط يمتد بين عامي 1931 و1932م، شريطة أن تجرى معها تحريات إضافية في موقع المكتبة على أمل العثور على ألواح مسمارية أخرى، ولعدم معرفة (تومبسون) بأحوال العراق وكيفية التعامل مع أهله، اختار لمعاونته في هذه البعثة عالم الآثار الشاب (ماكس مالوان) (Max Edgar Lucien Mallowan) (1904-1978م) العائد من أرض الرافدين بعد سنوات عدة قضاها مع التنقيب في مدينة (أور) الأثرية، إلى جانب (ليونارد وولي) (Leonard Woolley) (1880-1960م) خلال عشرينات القرن المنصرم، كسب خلال تواجده هناك خبرة ومعرفة كبيرتين بطبيعة هذا البلد وأحوال ناسه، لذا فإنه سيكون خير معين له في عمله هذا. (Thompson, Hutchinson. 1929: 146)

خاتمة ونتائج الدراسة:

اعتماداً على ما تطرقت إليه من المعطيات التاريخية والأثرية حول التنقيبات الأثرية في مدينة نينوى الأثرية فقد خلصت إلى النتائج التالية:

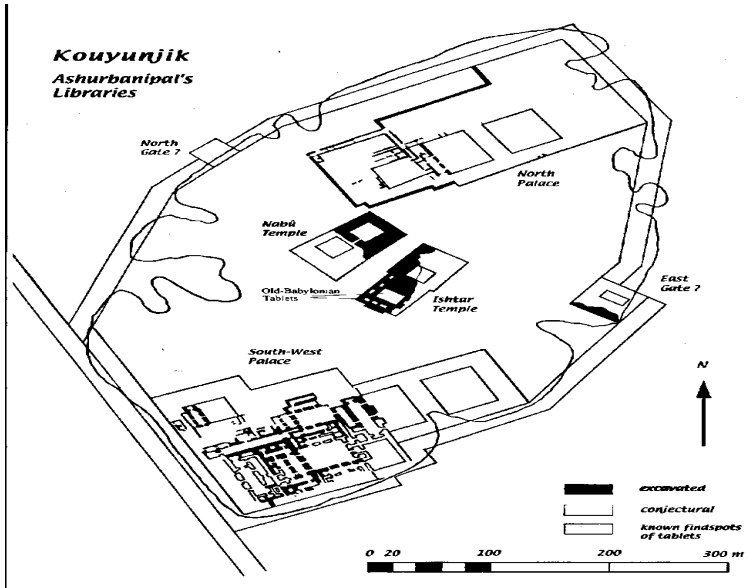
- تمتعت محافظة نينوى بأهمية تاريخية وأثرية ضارية في عمق الماضي حيث تنوعت آثارها من مباني ورقم طينية وتماثيل وفخار وأنية متنوعة وهذا في الكثير من مواقعها سيما في المدينة الأثرية نينوى التي تحوي على موقعين مهمين للغاية هما موقع تل قوينجق وموقع النبي يونس.
- بدأ الكشف عن أسرار حضارة نينوى وهذا منذ منتصف القرن التاسع عشر عندما شهد العراق تنافساً حاداً بين الانجليز والفرنسيين ثم البعثات الألمانية والأمريكية وغيرها من البعثات فيما بعد .
- تعد الآثار المنقولة وغير المنقولة التاريخ الحي لكل أمة وهي الشاهد القائم على هويتها فكلما زاد الكشف عن آثار أمة ما كلما زادت الحصيلة التي يستنتج منها تاريخها وحضارتها.
- إن الدمار الذي طال آثار نينوى مؤخراً يعتبر الأكثر دماراً عبر العصور فحسب وسائل الإعلام فإن أكثر من 30 موقعاً تاريخياً وأثرياً في نينوى طاولها الضرر وإن 12 موقعاً أثرياً مهماً جرى تدميره وسرقته ونهبه.
- إن حماية آثار محافظة نينوى وإعادة إحيائها وترميمها ومعالجة المشكلات الناجمة عن الإرهاب والحروب المرافقة له يتطلب جهداً دولياً وإنسانياً كبيراً وجب معالجته.

الملحق رقم 1: الموقع الأثري نينوى



المصدر: أنظر: <http://bojonah.blogspot.com/2013/03/men-of-nineveh.html>

الملحق رقم 2: الموقع الأثري كوينجق

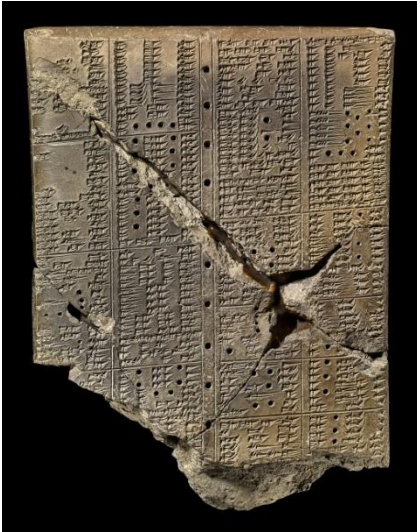


المصدر: أنظر (Jeanette C, Fincke H. 2003 : 114)

الملحق رقم 3: رقم مسمارية عثر عليها في مكتبة اشوربانيبال بموقع قوينجق وهي محفوظة بالمتحف البريطاني



لوح رقم: 01613641083



لوح رقم: 01613641085



لوح رقم: 01324484001

المصدر، انظر: <https://www.bmimages.com/results.asp?txtkeys1=kouyunjik>

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المراجع باللغة العربية

1. حنونا حبيب، (1995). *تاريخ الاكتشافات الأثرية في سهل نينوى. لمحات من تاريخ كلدو آثور - ساندياكو*
<http://www.karemlash.net/forum/archive/index.php/t-7921.html>
2. شحيلات علي، الحمداني عبد العزيز الياس، (1971). *مختصر تاريخ العراق تاريخ العراق القديم، الجزء الرابع. العصر الأشوري. بيروت. لبنان: دار الكتب العلمية.*
3. مجموعة باحثين، (1997). *الموسوعة الأثرية العالمية. مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.*
4. مجموعة باحثين، (1985). *حضارة العراق، ج 1. بغداد. العراق.*
5. مظلوم طارق، مهدي محمد علي، (1971). *نينوى. بغداد. العراق.*

ثانياً: المراجع باللغة الاجنبية:

6. BERNHARDSSON Magnus T., (2005), *Reclaiming a Plundered Past: Archaeology and Nation Building in Modern Iraq*, texas. Usa: University of Texas Press.
7. BOTTA Paul- Emile., (1850), *BOTTA'S letters on the discovries at niniveh*, translated from the french by C.T. London.
8. CAMPBELL Thompson .R and HUTCHINSON R. W. Luzac and co., (1929), *A century of exploration at Nineveh.*
9. EALY Mark., (1991), *The Ancient Assyrians*. New York : Osprey.
10. <http://bojonah.blogspot.com/2013/03/men-of-nineveh.html>
11. <https://www.bmimages.com/results.asp?txtkeys1=kouyunjik>
12. JEANETTE C. Fincke Heidelberg., (2003), *The Babylonian Texts of Nineveh*. Report on the British Museum's Ashurbanipal. Department of the Ancient Near East.
13. LAYARD Austen Henry., (1853), *Discoveries among the ruins of Nineveh and Babylon; with travels in Armenia, Kurdistan, and the desert: being the result of a second expedition undertaken for the Trustees of the British museum*. London : John Murray
14. LAYARD Austen Henry., (1854), *Discoveries At Nineveh*. New York : J. C. Derby

15. LAYARD Austen Henry., (1867), *Nineveh and Babylon*. a second expedition to Assyria during the years 1849, 1850, & 1851. London : JOHN Murray, Albemarle street
16. OLMSTEAD. A.T., (1960), *History of Assyria*. London.
17. RICH. C.J., (1837), *Narrative of a residence in Koordistan, and on the site of ancient Nineveh; with journal of a voyage down the Tigris to Bagdad, and an account of a visit to Shirauz and Persepolis*. London : edited by his widow.
18. RUSSELL John Malcolm., (1995), *Layard's Descriptions of Rooms in the Southwest Palace at Nineveh* .Iraq. UK. British Institute for the Study of Iraq Vol. 57.
19. THOMPSON .C., (1931), *the Prism of Esarhaddon and Ashurbanipal*, London,
20. THOMPSON. R.C., (1900), *The Reports of the Magicians and Astrologers of Nineveh and Babylon*. London.